عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدبولي

الطبعة الثانية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الناشر

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم

إدوارد وليم لاين

(مصر ما بين ١٨٣٣ ~ ١٨٣٥)

ترجمة
سهير دسوم

مكتبة مدبولي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

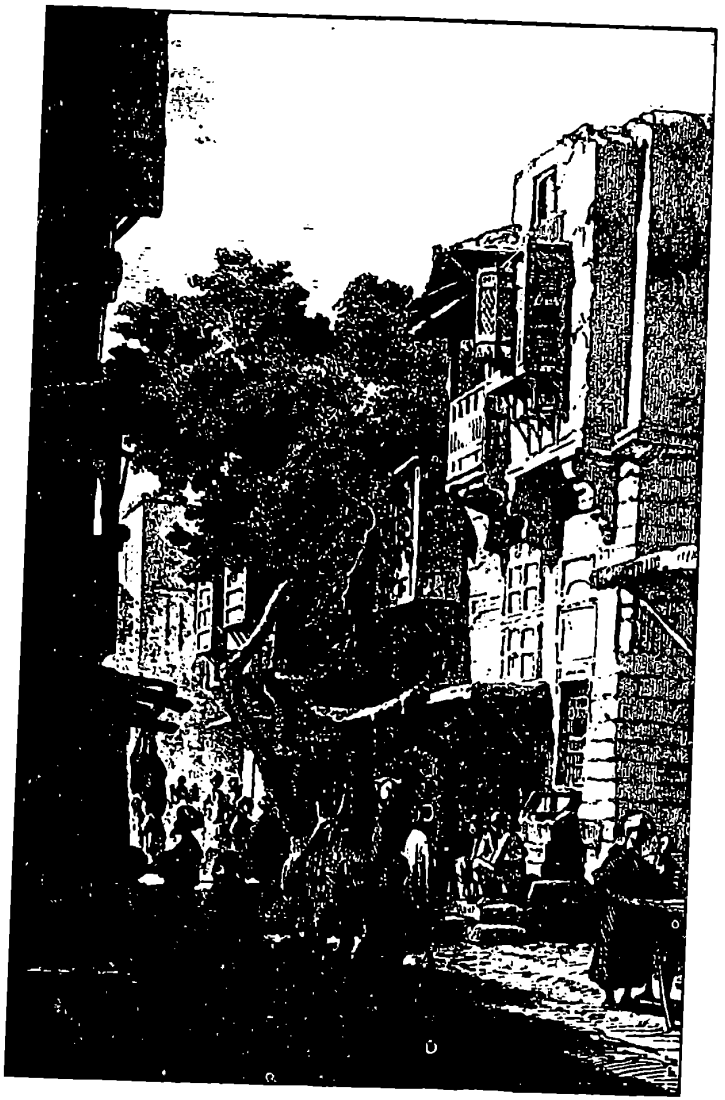

أحد شوارع القاهرة

لمحة عن سيرة المؤلف

وُلد « إدوارد لاين » مؤلف هذا الكتاب في « هيرفورد » Hereford في ١٧ سبتمبر ١٨٠١ وهو الإبن الثالث لِـ « ثيوفلوس لاين » الكاهن الفخري لكاتدرائية « هيرفورد » . تتلمذ بشكل مستقل على يد والديه خاصّة . فأمّه وهي ابنة أخ الرّسام « غاينسبورا » Gainsborough ، امرأة تتمتع بثقافة عالية ومبادىء رفيعة ، وإليها يعود الفضل في توسيع مدارك « لاين » الفكرية والأخلاقية . ولمّا كان متفوّقاً بشكل غير عادي في مادتَيْ الرياضيات والأدب ، قرّر والداه إرساله إلى جامعة « كامبريدج » بهدف الإنضمام إلى الكنيسة في مرحلة لاحقة . ولكنّ « لاين » ما لبث أن تخلّى بعد فترة بسيطة أمضاها في « كامبريدج » عن هذه الفكرة ولحق بأخ أكبر له في لندن حيث كان يعمل في مجال الطباعة الحجرية والنقش ، وانكبّ في الوقت عينه ينهل من منابع اللغة العربية فكانت له اليد الطّولى فيها . بيد أنّ ضغط العمل المتواصل وانكبابه على الدراسة أنهكا صحّته ، فأصيب بعارض حمّى سرعان ما تركه عليلاً سقيماً ، فكان لا بدّ له من الانتقال إلى الخارج طلباً للشفاء . وكان بديهيّاً أن يجعل الشرق قبلة أنظاره حيث قد تُتاح له فرصة الشفاء والمثابرة على دراسته الغالية على قلبه .

وهكذا كان وانتقل « لاين » إلى مصر في نهاية عام ١٨٢٥ وكان لمّا يزل بعد في الرابعة والعشرين ربيعاً ، وعقد العزم على دراسة اللغة العربية وطبائع الشعب المصري على حد سواء ولذا ارتدى الزي التقليدي المصري ، فأتى تنكره بارعاً إلى درجة خَاله العامة تركيّاً وعهد إلى أستاذين مهمّة تعليمه اللغة

العربية والدين الإسلامي وأحكام الشريعة . واختلط بالناس فعاش في وسطهم وكأنّه واحد منهم ، متّخذاً لنفسه اسماً عربياً ومتّبعاً عاداتهم وتقاليدهم ومتبنياً حتّى أفكارهم إلى أبعد الحدود . كما امتنع عن أكل كل ما حرّمه دينهم من طعام وكفّ عن معاقرة الخمر وأقلع عن العادات غير المحبّبة إلى نفوسهم كاستعمال الشوكة والسكين عند تناول وجبات الطعام وارتاد « لاين » منازلهم وأسواقهم ودخل جوامعهم ـ حتّى الأقدس منها وفي أقدس المواسم ـ وهي مزدحمة بالأتراك فصلّى صلواتهم بحرارة الإيمان والتقوى وأسرّ لأصدقائه المقربين بدور العناية الإلهية في نشر دين الإسلام وعند سؤاله ، اعترف بالمسيح « قَولُ الحق » بما ينسجم « وكلمات » القرآن

وبنتيجة ذلك ، اكتسب « لاين » ثقة العرب كاملة ، فنسوا أنّ « لاين » ليس واحداً منهم ؛ وما كانوا قط متحفّظين نحوه في خوض ألوان المواضيع وضروبها ومناقشتها ولم يتوانوا أبداً عن مفاتحته بمكنونات قلوبهم وبنات أفكارهم أو الأسباب الكامنة وراء أي تصرّف من تصرّفاتهم فتمكّن بذلك من التغلغل إلى أعماق أعماقهم متناسياً أنّه إنكليزي ومتفكّراً أفكارهم في لغتهم الأم

ولقد حذا حذو « لاين » العديد من الرّحالة السالفين منهم على سبيل المثال الأميركي « فرنسيس باركمان » Francis Parkman الذي عاش ردحاً من الزمن مع هنود أميركا الشمالية ، والهنغاري « أرمينيوس فامبري » Arminius Vambéry الذي تنقّل بين تتار آسيا الوسطى طوال سنتين متنحّلاً شكل أحد الدراويش . وتبقى ميزة « لاين » الخاصة أنّه كان الرائد السبّاق الذي تجرّأ وخاض غمار هذه التجربة واستمر فيها مدّة أطول من أسلافه .

كانت حياة « لاين » المصرية توطئة للعمل الكبير العظيم الذي وضع نصب عينيه تحقيقه ، ألا وهو تعريف العالم بالمصريين كما لم يعهد ذلك من قبل فجاب طوّافاً رحّالاً طيلة سنوات ثلاث في طول مصر وعرضها متنقّلاً بين الإسكندرية والقاهرة ، متسلّقاً الأهرامات وماخراً عُباب النيل . وعاد إلى إنكلترة

قُبَيل انتهاء عام ١٨٢٨ ، متأبّطاً كتابه « في وصف مصر » Description of Egypt في حلّته الناجزة مرفقاً برسوم اختطّتها ريشته . ولكنّ « لاين » لم يفلح في إيجاد الناشر الذي يجازف في نشر هذا الكتاب متحمّلاً كافة تكاليفه ، رغم الإقرار العام بقيمته . وبعد طول انتظار وبناءاً على نصيحة اللورد « برواغهام » ، أخذت « دار نشر المعرفة المفيدة » The Society for The Diffusion of Use-ful Knowledge على عاتقها مهمّة نشر الكتاب . وارتأى « لاين » زيارة ثانية إلى مصر طمعاً في إمكانية تحسين مؤلّفه فعاد إلى أرض الكنانة عام ١٨٣٣ وقبع فيها مدة سنتين اكتسب خلالهما معرفة أكبر ونظرة أعمق وأشمل . فكان وليده الجديد كتاب « عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم » «The Manners and Customs of The Modern Egyptians» الذي صدر عام ١٨٣٦ في جزءين عن « مكتبة المعرفة الممتعة » Library of Entertaining Knowledge وأرفقه بكليشيهات خشبية رائعة رسمها المؤلف بنفسه حقق الكتاب نجاحاً سريعاً باهراً ، وراح الجميع يتحدّث عن دقّته ووضوحه وتمامّيته وتميّز بأنّه « أفضل ما كُتِبَ في وصف شعب » . ويبقى كتاب « لاين » حتّى أيّامنا المقياس الأوّل الرئيسي في ما يتعلّق بمضمونه .

وبعد هذا الكتاب بعامين ، قام « لاين » بنشر ترجمة حديثة لكتاب « ألف ليلة وليلة » The Arabian Nights الذي نُقلت للمرّة الأولى قصصه بدقة متناهية ، وما تزال ترجمته مقياساً ومرجعاً إلى اليوم وأمّا الملحقات والإشارات المتعدّدة التي أضافها « لاين » ، فنشِرت لاحقاً في مؤلّف منفرد حمل عنوان : « المجتمع العربي في القرون الوسطى » . كما قام عام ١٨٤٣ بإصدار كتاب : « اصطفاءات من القرآن » Selections from The Kur-an وقبل صدور هذا المؤلّف ، عاد إلى مصر مرة جديدة (عام ١٨٤٢) يعدّ العدّة لإصدار « المعجم العربي » Arabic Lexicon أهمّ أعماله فبقي في مصر سبع سنين يجمع المواد اللازمة لمعجمه . وتولّى « دوك نورثمبر لاند الرابع » بكلّ سعة ورحابة صدر نفقات الكتاب كاملة ولمّا وافته المنية ، أكملت أرملته هذه المهمّة فانكبّ « لاين » يدقّق ويمحّص في معجمه طوال عشرين عاماً قبل أن يسمح

بنشره . ولمّا فرغ أخيراً من وضع خمسة أجزاء في قطع الرُّبع ابتداءاً من عام ١٨٦٣ ، اعتبره مفكّرو أوروبا عملاً على أرفع المستويات . ولكنّ الموت أعجله قبل أن ينتهي من معجمه ، فمات في « ورثنغ » من أعمال سَاسِكس Sussex في ١٠ أغسطس ١٨٧٦ في الخامسة والسبعين من عمره . وأمّا الجزء المتبقّي من المعجم ، فتمّ نشره (بين ١٨٧٦ - ١٨٩٠) بإشراف حفيد أخيه الأكبر « س . لاين - بول » S. Lane-Poole الذي عمد إلى تدوين سيرته . ورغم عدم تقدير أيّة جامعة بريطانية لما أنجزه « لاين » ، فقد نال هذا الأخير درجة دكتوراه في الأداب في الذكرى المئوية الثالثة لجامعة ليدين Leyden ، كما انتخبه المعهد الفرنسي Institute of France عضواً مراسلاً . ومنحته الحكومة البريطانية في سنواته الأخيرة مخصصات ملكية وهي مخصصات تُمنح عادة للملك ولأسرته .

عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم

مقدّمة

البلاد والمناخ / العاصمة / المنازل / السّكان

نلاحظ عامة أن أهم ما يميز بلداً في عاداته وتقاليده وطابعه مرتبط بمميزاته الطبيعية . فهذه المميزات تؤثّر تأثيراً بالغاً على الحالتين الأخلاقية والاجتماعية للمصريين المحدثين موضوع بحثنا ، لذا فهي تستلزم بعض الملاحظات التمهيدية غير الضرورية مع ذلك لتفسير تأثيراتها الخاصة التي ستظهر جليّة عبر فصول هذا الكتاب

تحدّ النيل الذي تحيط به الصحاري الرملية والجبلية في مجراه عبر وادي مصر العليا (الصعيد) الضيق والمتعرج وعبر سهل الدلتا حقول مزروعة مروية بمياهه إلّا في أماكن قليلة وليست الأراضي المزروعة مستوية تماماً ؛ فهي تنخفض نحو الصحاري أكثر منه في الأراضي المحيطة بالنهر وتنتشر فيها بساتين البلح والقرى وتتقاطعها العديد من القنوات وأمّا الأمطار الصيفية الغزيرة التي تعرفها بلاد الحبشة والبلدان المجاورة ، فتظهر تأثيراتها في مصر عند ارتفاع منسوب النيل قبيل فترة الإنقلاب الصيفي للشمس . ويبلغ النيل أعلى مستوياته خلال الاعتدال الخريفي فتكفي مياهه لملء القنوات التي تروي السهول والحقول ولغمر مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة ثم ينخفض

منسوب النهر تدريجياً حتّى فترة ارتفاعه من جديد وتغطي الترسبات المهمة المتأتية عن الغمر الطبيعي للمياه أو الري الاصطناعي سنوياً الحقول المحيطة بالنيل بعد أن تكون هذه الترسبات قد أُشبعت تماماً خاصة خلال ارتفاع منسوب النهر بطبقة غنية من التربة مجروفة من البلدان الجبلية حيث يتدفق ، بينما يرتفع قاعه وللسّبب نفسه بدرجة مماثلة. ويعتمد المصريون اعتماداً كليّاً على مياه النيل لتخصيب تربتهم بسبب ندرة هطول الأمطار في بلادهم باستثناء المنطقة المحيطة بالمتوسط ويساعد انتظام الفصول الفلاح المصري على ترتيب عمله في الأرض بدقة كبيرة ؛ وعمله غير شاق عامة إلّا عندما يكون مجبراً على رفع المياه للري

ومناخ مصر صحي جداً معظم أوقات السنة فرائحة التربة المنبعثة بعد فترة الغمر تجعل أواخر أيام الخريف غير صحية تماماً كما هي الحال خلال فصلَي الصيف والشتاء فهي تسبّب الرّمد (التهاب العين) والديزنطاريا وأمراض أخرى يكثر ظهورها في الخريف أكثر من أي فصل آخر . وأمّا خلال فترة هبوب الرياح الخمسينية (فترة الخماسين) التي تبدأ في شهر أبريل وتستمر حتّى شهر مايو ، فتطغى الرياح الجنوبية الحارة طوال ثلاثة أيام متواصلة تقريباً ورغم أنّه نادراً ما تتجاوز هذه الرياح الخمسينية الـ ٩٥ درجة على مقياس « فهر نهايت » في الدلتا أو الـ ١٠٥ درجات في صعيد مصر ، فهي رياح عاتية قاسية حتّى للسّكان أنفسهم ويضرب الطاعون مصر في الربيع عامة ، ويكون هذا المرض قاسياً مميتاً في فترة هبوب الرياح الخمسينية كما تهبّ على مصر خاصّة خلال فصلَي الربيع والصيف رياح « السّموم » السّاخنة التي هي أكثر قساوة من رياح الخماسين، بيد أن مدّتها أقصر ، نادراً ما تتجاوز الربع ساعة أو العشرين دقيقة وتهب هذه الرياح عامة من الجنوب الشرقي أو من جنوب الجنوب الشرقي حاملة معها سُحباً من الغبار والرمال ويتراوح المعدل العام لمقياس الحرارة في الدلتا أيام الشتاء الباردة خلال فترات بعد الظهر وفي الظل بين ٥٠ و ٦٠ درجة

تتراوح هذه الحرارة بين ٩٠ و ١٠٠ درجة في أكثر الفصول لهيباً وهي

القاهرة

عشر درجات أعلى في المناطق الجنوبية في الدّلتا. ورغم ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصّيف ارتفاعاً كبيراً، فنادراً ما تكون ثقيلة الوطأة وهي تترافق عامة مع نسيم عليل شمالي ، ويكون الهواء جافاً إلى أبعد الحدود . ومصدر الإزعاج الوحيد الناجم عن هذا الجفاف في الطقس يكمن خاصة في الكمية الهائلة من الغبار المنتشر في الجو ، إضافةً إلى جملة أوبئة أخرى تنتقص من راحة المواطنين المصريين والسّياح الذين يطرحونها من مناخ هذا البلد الرائع . كما تكثر في الربيع والصيف والخريف أسراب الذباب المزعجة خلال فترات النهار وكذلك طوابير البعوض التي تزيد الطينة بلّة في المساء (إلاّ في حال استُعملت ناموسية خاصة لطردها وإبعادها) وأحياناً حتّى في النهار ؛ كما أنّ كلّ منزل يكثر فيه المنجور الخشبي (كما هي حال المنازل الجيدة) يسرح فيه البقّ ويمرح خلال الطقس الحار . وأمّا القمل ، فلا يمكن للمصري دائماً تحاشي إزعاجه في الفصول وإن كان سهلاً التخلص منه ؛ وكذلك البراغيث فطوابير طوابير في الطقس المعتدل .

وطقس الصعيد صحي أكثر من طقس الدلتا رغم ارتفاع درجة حرارته ونادراً ما تعرف القاهرة (العاصمة) وباء الطاعون ؛ وهو أكثر شيوعاً في المناطق السّبخة القريبة من المتوسّط . ولم تشهد البلاد خلال السنوات العشر الماضية سوى حالات نادرة من هذا المرض المميت باستثناء المناطق المذكورة آنفاً وفي تلك التي لم يكن فيها المرض ضارباً فتّاكاً[1] ، وذلك بفضل تحسن نظام تصريف المياه واعتماد قوانين الحجر الصحي الوقائية منعاً لتفشيه وتسلّله من البلدان الأخرى . ومن الأمراض الأخرى الشائعة الرّمد (التهاب العين)

(١) تم تدوين هذه الملاحظة قبل الطاعون الرهيب الذي ضرب البلاد هذا العام (١٨٣٥) ؛ ومصدر الطاعون تركيا وقد آمتد إلى مصر كلّها رغم أن عواقبه لم تنعكس خراباً كبيراً على المناطق الجنوبية للبلاد . قضى هذا الطاعون على ما لا يقل عن ثمانية آلاف شخص في القاهرة وحدها (ما يعادل ثلث مجموع السكان) ، وأكثر من مئتي ألف شخص في مصر عامة . وقد أبرزت الحكومة تقريراً حدّدت فيه عدد الضحايا بأربعين ألفاً تقريباً ؛ وعلمتُ من مصادر موثوقة أنّ الحكومة آتّبعت قاعدة عامة تقضي بتقليص عدد ضحايا هذا الطاعون إلى نصف العدد الحقيقي فقط .

المنتشر في الدّلتا أكثر منه في المناطق الجنوبية ؛ وهو ينجم عادة عن التّعرق ، ويزيد من حدّته الغبار وجملة أوبئة أخرى ، والإسراع في التطبيب والمعالجة يقلّل من خطورة تفشّيه . بيد أنّ العديد من المواطنين المصريين يفقدون نعمة النظر إمّا بعين واحدة أو بالعينين معاً لجهلهم كيفيّة معالجة هذا المرض ولإصرارهم على تسليم أمورهم للأقدار .

وأمّا عن الوضع الصحي في مصر، فغالباً ما يبادر البعض إلى سؤالي عن نسبة الأشخاص المسنّين بين السّكان ، وقليلون هم الذين بالتأكيد يبلغون مرحلة متقدّمة من العمر . ولكن ما عساها تكون نسبة الأشخاص الذين يعمّرون في بلادنا ولا يعانون من مرض عضال لولا المساعدات والإسعافات الطبية التي لا تحصل عليها سوى القلة القليلة في مصر . وحرارة شهور الصيف ثقيلة الوطأة لدرجة تحمل معها الخمول والكسل ، كما تثير في نفس الإنسان المصري لذّة الإنغماس في المتع الحسية الشهوانية ويرافق خصوبة التربة الوافرة إحساس بالتراخي والكسل ، إذ تكفي كمية بسيطة من الغذاء لسدّ جوع السكان ، علماً أن التوصل إلى الكفاية لا يحتاج إلى بذل جهد كبير . يطلق السّكان على عاصمتهم المصرية الحديثة اسم « مَصر » (بفتح الميم) أو « مِصر » (بكسر الميم) توخياً للدقة وكانت تعرّف في البدء « بالقاهرة » عندما عمد الأوروبيون إلى تأليف اسم Cairo . وتقع « مِصر » (العاصمة) عند مدخل وادي الصعيد بين النيل والسلسلة الشرقية لجبل « المقطّم » . وأمّا بين « المقطّم » ونهر النيل فتمتد أراض مزروعة بمعظمها تبلغ في أقسامها الشمالية (حيث يقع ميناء بولاق) ميلا عرضاً ، وأقلّ من نصف ميل عرضاً في قسمها الجنوبي وتحتل العاصمة مساحة ثلاثة أميال تقريباً ويقدّر سكانها بنحو مئتي وأربعين ألف نسمة يحيط بالعاصمة سور تُغلق أبوابه عند انسدال الليل ، وتطلّ عليه قلعة كبيرة تقع في إحدى زوايا المدينة بالقرب من موقع الجبل . وشوارع « القاهرة » غير مرصوفة ومعظمها ضيّق متعرّج ، وهي في الواقع أزقّة أكثر منها شوارع

والمار في الشوارع لا يرى في القاهرة سوى مدينة ضيّقة المساحة مكتظّة

بالسكان ؛ والحال تختلف بالنسبة إلى الرائي الذي ينظر إليها من سطح منزل عالٍ أو من مئذنة جامع كما ترتصف في الشوارع العريضة المتاجر الواحد

المنازل الخاصة في القاهرة

بجانب الآخر وتقع فوقها بيوت لا صلة لها البتة بها والتي نادراً ما يقطنها الأشخاص المستأجرون لهذه المتاجر . وأمّا إلى يمين الشوارع الكبيرة ويسارها ، فتمتد الشوارع الفرعية والأحياء . ومعظم الشوارع الفرعية كبيرة ، تشتمل على بوّابة خشبية واسعة في أطرافها تُغلَق ليلاً ويتولّى حراستها بوّاب يفتح البوابة لكلّ راغب في الدخول تتألف الأحياء في معظمها من أزقة ضيقة

ذات مدخل واحد عام لها بوابة تقفل بدورها ليلاً كذلك تتقاطع الأحياء شوارع فرعية تمر عبرها

ولا بدّ من إعطاء وصف لمنازل العاصمة الخاصة . والصورة التالية تساعد القارىء على تكوين فكرة عامة عن المنظر الخارجي لهذه المنازل . تكون الجدران الداعمة والتي هي بمستوى ارتفاع الطابق الأول مغطاة من الخارج وغالباً من الداخل بالأحجار الكلسية الملساء المقتطعة من الجبل المجاور . وأمّا سطح هذه الأحجار فضارب إلى الصفرة الخفيفة عند اقتطاعه ما يلبث أن يصبح قاتماً بعد ذلك وتتلّون الطبقات المتعاقبة الأمامية أحياناً باللونين الأحمر والأبيض خاصة في المنازل الفسيحة كما هي حال معظم الجوامع . وتكون البنية الفوقية البالغة واجهتها عامّةً قدمين طولاً والمرتكزة على الطُّنف أو الدعام ، من الآجر ومجصّصة غالب الأحيان والآجر محروق أحمر باهت اللون والملاط مزيج من الوحل بمقدار النصف يُجبل بالكلس (الجير) بمقدار الرّبع ، إضافةً إلى رماد القش والنفايات ، فيصبح بذلك لون جدران الآجر غير المجصّصة وسخاً كما لو كانت ألواح الآجر غير محروقة . وأمّا السقف فمسطّح ومغطّى بطبقة من البحص .

يبيّن الرسم اللاحق النموذج الهندسي الأكثر شيوعاً لمدخل أحد المنازل الخاصة في القاهرة . فباب المدخل منقوش عادة بالطريقة التي يظهرها الرسم ويطلى القسم من الباب حيث الكلام المنقوش إضافة إلى الأقسام الأخرى ذات الشكل المشابه باللون الأحمر وتحدَّد باللون الأبيض ؛ وباقي مساحة الباب مطلي باللون الأخضر وأمّا الكلام المنقوش على الباب « هو الخلّاق الباقي » (والذي سأعمل إلى تفصيله عند معالجتي موضوع خرافات المصريين في فصول لاحقة من الكتاب) فتزدان به العديد من الأبواب وإن كان لا يشكّل القاعدة العامة والكلام المنقوش هذا مطلي باللونين الأسود أو الأبيض ، وهذا ما يظهر على أبواب المنازل الفسيحة . ولهذه الأبواب عادة قارع حديدي وقفل خشبي إضافةً إلى حجر عال عند جانب الباب

باب أحد المنازل الخاصة في القاهرة

نميّز في الحجرات الأرضية الموازية للشارع نوافذ شَعريّة خشبية صغيرة ، عالية بما فيه الكفاية لتمنع أيّاً كان من المارة في الشارع وحتّى من على صهوة جواده من إلقاء نظرة عبرها وترتفع نوافذ الأدوار العليا حوالي القدم ونصف القدم أو أكثر وهي نوافذ مؤلفة من شَعريّات خشبية دائرية الشكل قريبة جداً الواحدة من الأخرى إلى درجة تكاد تمنع معها تسرّب النور وأشعة الشمس ، كما تحجب هذه النوافذ سكان الدّار عن أنظار المتطفّلين من المارة وتسمح في الوقت عينه بدخول الهواء منها وهي عادة من الخشب غير المطلي ؛ وقد يُطلى بعضها جزئياً باللونين الأحمر والأخضر أو كاملاً ويُطلق على هذه النوافذ اسم « روشان » أو « مشربية » كما هو شائع ولهذه الكلمة الأخيرة (مشربيّة)

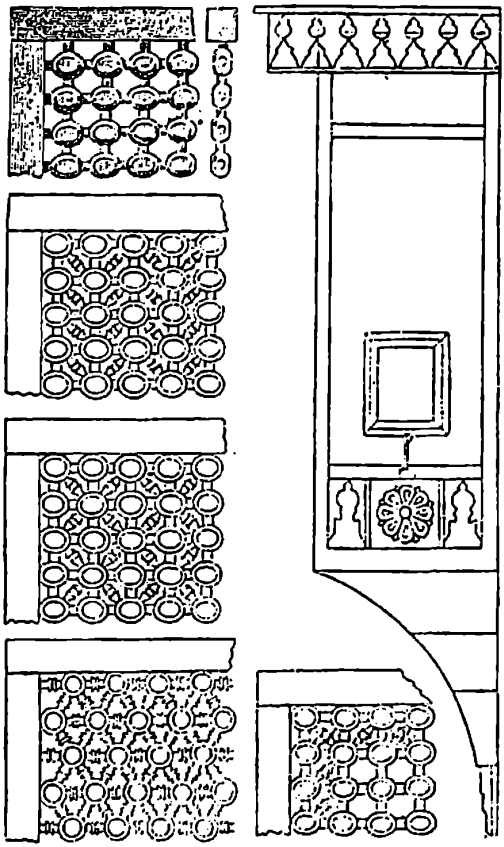

نماذج مختلفة لنوافذ شَعريّة

معنى آخر نورده لاحقاً والكثير من النوافذ ذات الأشكال المختلفة ممثّل في بعض الرسوم المعروضة في الكتاب إضافةً إلى بعض نماذج من النوافذ المشبكية الأكثر شيوعاً . وللنوافذ من هذا النوع مشرّبية صغيرة تشبه نوعاً ما الروشان بشكل مصغّر ، تكون ناتئة إما من الواجهة الأمامية أو عند كلّ جانب . ونجد على هذه المشربيّة أواني خزفية نفيذة توضع في مجرى الهواء تُستعمل لتبريد الماء بواسطة عملية التبخر . ومن هنا مشتقّة عبارة « مِشْربية » وتعني مكان

الشرب . وللنافذة الناتئة مشربيّة مسطّحة مشبكيّة أو أخرى شعرية خشبية أو زجاجيّة ملونة تقع مباشرة فوقها . وفي حال كانت هذه النافذة العلوية مشبكيّة ، فهي زخرفية الشكل أكثر من النوافذ الأخرى وتمثّل وعاءاً فوقه إبريق أو صورة أسد أو تحمل اسم « الله » أو عبارات أخرى مثل : « الله رجائي » . وبعض النوافذ الناتئة مبنية كلّها من الألواح الخشبية والقليل منها له أُطر زجاجية عند جوانبه . وأمّا النوافذ المشبكية في المنازل الأحسن بناءاً فمزوّدة بأُطر زجاجية من الداخل تُقْفَل بشكل محكَم في فصل الشتاء . ولا يتسلّل البرد إلى أوصال المصريين إلاّ عندما يسقط مقياس فهر نهايت الحراري عن ٦٠ درجة . ونوافذ المنازل البسيطة مختلفة تماماً في معظمها حتّى أنها موازية لسطح الجدار الخارجي

يكون الجزء العلوي من النافذة شَعرياً خشبياً أو هو عبارة عن حاجز مُشَبَّك ، وأمّا الجزء السفلي فمغلَق بمصراعين معلّقين والعديد من هذه النوافذ مزوّد بمشربيّة صغيرة ناتئة في الجزء السفلي مخّصصة لزقاق الماء (م زقّ) .

ترتفع المنازل عامة دورين أو ثلاثة أدوار . ويضم كلّ منزل فسيح تقريباً فناءاً غير مرصوف وغير مسقوف يُعرَف « بالحوش » بُني عند مدخله ممرّ ذات منعطف أو منعطفين بهدف منع المارة من آختلاس النظر إلى داخل الفناء ونجد في هذا الممرّ وراء الباب مباشرة مقعداً حجرياً طويلاً يُعرف « بالمصطبة » يستند في بنائه إلى الجدار أو إلى جانبه وهو مخصّص للبّواب والخدم الآخرين . كذلك تقع في الفناء بركة تتدفق مياهها المالحة بعض الشيء من نهر النيل عبر باطن الأرض ؛ وتطالعنا إلى جانب البركة المظلّل أكثر من غيره جرّتان للماء تُملآن يومياً بمياه النيل بواسطة الزّقاق . وتطلّ الحجرات الأساسية على باحة الفناء الواسع وتكون جدرانها الخارجية (المبنية من الآجر) مجصّصة ومبيَّضة بماء الكلس . وتكثر الأبواب التي ندخل إليها من فناء المنزل ؛ من هذه الأبواب « باب الحريم » وهو يشكل مدخل السّلالم الذي يقودنا إلى الحجرات المخصّصة للنّساء ولسيّدهم ولأولاده .